تيار الدولة التركية التي يقبح مظالمها اليوم المسلمون فضلاً عن النصارى (١) . رابعاً وهيهات ان نسلم بنسبة ما اتى به بعض ملوك النصارى ظلماً كمذبحة القديس برتلماوس وبعض اعمال ديوان التفتيش في اسبانية الى ارباب الكنيسة وهم براء منها . ولم تكتف الكنيسة بعدم اقرارهم على هذه الاعمال بل كانت اول من يؤاخذهم عليها ويشدد عليهم النكير في اتيانها حتى ولو كانوا من اعز اولادها كشرلمان العظيم والكنت دي منفور فان الاحبار الرومانيين بكتوهما على افراطهما بمحاربة اعدائهما واعداء الدين

ويسوغ لنا ان نختم هذه المقالة بما كتبهُ جابرت احد مشاهير الكتبة العصريين مزكياً الكنيسة عن هذه التهم بقوله :

بعد ان اقرت الكنيسة ما لديها من وسائل الاقناع لكف الايادي الظالمة دون ان يجديها القول نفعاً قامت — وهي لم تقبل الا مكرهة — تطلب من القوة ان تقدم الحق وتناضل بالسيف عن حوزته فتدفع عن اهتضامه اقواماً لا يبرقون رأياً الا السيف ولا يحترمون الا عهد القوة . فهذا امرٌ لا غبار عليه وهي بغنى عن طلب الصفح والتنصل . حسبها ان كل من يشفي بنور العقل يعتبر اعمالها في هذا السبيل خدمة جلى للانسانية فيحضها على الثناء الطيب والشكر الجزيل

حول جزيرة العرب .

نظر اجمالي للاب لويس شيخو اليسوعي تابع

مكة وشرفاؤها

بعد ابحاثنا السابقة عن اليمن لا بدَّ ايضاً ان نخص بنظرة اجمالية امارة شرفاء مكة كلٌ يعرف مقام مكة والمدينة في اعين الاسلام فالأولى مركز دينهم وقبلة

(١) للكاتب الفرنسوي الشهير شاتوبريان كلام مأثور في ذلك قال : « ان الذين قد اقاموا الملوك من سباتهم وجمعوا الشمل ووحدوا الكلمة وابرموا المعاهدات دفاعاً عن البلاد الغربية لكي لا تقع فريسة الاتراك انما هم البابوات ولو لم يكن للكنيسة من الاعمال الخطيرة في جانب الانسانية غير هذا لكفى . فهذه النعمة السابقة تجعلها اهلاً لأن تُقام لها المذابح شكراً واكراماً »

صلاتهم ومحطّ حجيجهم والثانية منزل نبيّهم بعد هجرته ومدفنه بعد موته . ويطلق على كلتيهما اسم الحرمين وهما حاضرتا الحجاز وفرضتها على البحر الاحمر جدة والينبع

لم يكن لمكة في اول الاسلام امارة خاصة وانما كان الحكم فيها لعمال يرسلهم اليها الخلفاء الامويون ثمّ العباسيون . بيد انه كان فيها بيوتات ينتمي اصحابها الى ذرّية محمد عُرفوا بالشرفاء والسادة كان الناس يعظمونهم لكرم محتدهم

فلمّا كان القرن الحادي عشر للميلاد وقد تضعضعت امور الخلافة في بغداد وتملّك الفاطميّون في مصر قامت اسرةٌ من العلويين وادّعت السيادة على اهل مكة ولم يألُ اصحابها جهدهم في توطيد نفوذهم فيها فأتى الفوز حليف إقدامهم وبقوا في منصبهم الى اواخر الدولة الفاطميّة فسقطوا بسقوطها

ثمّ صارت بعدهم الامارة الى اسرة شريفة يتّصل نسلها بالشريف قتادة الذي تولى الامارة على مكّة في اواخر القرن السادس الهجرة والثالث عشر للمسيح ويرقون اصلهم الى الامام حسن بن عليّ بن ابي طالب . واخبارهم طويلة لا يسعنا ذكرها . واكثر ما يرويه كتبة المسلمين كالفاسيّ والفاكهيّ والنهروالي والسهروَردي عنها نزاعات ومخاصمات وحروب يطول وصفها انتشبت بين اصحابها طمعاً في السيادة وحرصاً على جمع المال من الحجيج بضروب العنف

على انّ امارة الشرفاء على الحرمين لم تكن غالباً الا سطحيّة يضطرّون الى الخضوع للدولة الظافرة شاؤوا ام أبوا ويخطبون باسم صاحبها لاسيما ممالك مصر من القرن الثالث عشر الى السادس عشر فاذا احسّوا منهم بضعف استبدوا بالامر وبسطوا سلطتهم على انحاء الحجاز

ولم يكن للشرفاء جيش يخدمهم وانّما كانوا يجندون خدمهم ومماليكهم وبعض اهل البادية لقضاء امورهم على انّ عشائر العرب كثيراً ما كانت تتعرّض للحجّاج في طريقهم ريثما يأخذ شيوخها نصيبهم من مالهم او يرضيهم الشرفاء ببالغ يؤدونها لهم او ألطاف يهدونها اياهم

ولمّا دخلت الحجاز في عهدة ملوك آل عثمان بعد فتح سليم خان الاوّل أثبت السلطان في الامارة على مكّة الشريف جمال الدين محمّد ابا النتيّ من اسرة قتادة السابق ذكرها

سنة ١٥٣٢ه (١٥٢٥م) وتوفّي بها بخانقة ديار ذهب في السنة . وخلفه في الامارة اولاده (١) ويُعرف بيت هؤلاء الامراء بذوي زيد توارثوها ابًا عن جدّ الى ايّام الوهابيين فمحى اولوا الامر مذهبهم في ايّام الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد المتوفّى سنة ١١٦٥ه (١٧٥١م) فزيّنوا تقاليدهم وامر مجلس بعض علمائهم . ثمّ جاءت امر الوهابيين كما سبق في عهد امير هم ابن سعود وكرّروا الحملات على الحجاز حتّى دخلوا مكّة واستولوا على المدينة سنة ١٢٢٠ه (١٨٠٥م) وامروا في الحرمين سبع سنين وكان ذلك في ايّام الشريف غالب بن مساعد بن سعيد

وفي السنة ١٨١٢ كانت الحملة المصريّة فتوفّق محمّد علي الى تحرير الحجاز فردّ امرهُ الى اصحابه لكنّهُ رأى في الشريف غالب بعض الضعف والموالاة للوهابيين فعزلهُ واقام مكانهُ الشريف يحيى بن سرور بن مساعد وهو ابن اخي غالب ونفى غالب الى سالونيك وهناك مات سنة ١٨١٦

وكان يحيى كاحد عمّال الدولة ليس لهُ من الامارة غير الاسم . وفي السنة ١٨٣١ عزلهُ محمّد علي بابنهِ المقتول في الكعبة احد انسبائهِ وقلّد امارة مكّة رجلًا من الاشراف اسمهُ محمّد بن عون لم يكن من بيت امرائها فصارت من بعدهِ الامارة تتراوح بين البيتين لبيت ذوي زيد حينًا ولبيت ذوي عون حينًا آخر

وطال ايّام ابن عون ثلاثة عشر سنة ومات في ٢٨ آذار ١٨٥٨ وقد تقلّبت عليهِ الاحوال فنُفي مرّتين المرّة الاولى بامر محمّد علي باشا نُفي الى القاهرة (١٨٣٦—١٨٤٠) والمرّة الثانية بامر السلطان عبد العزيز الى الاستانة (١٨٥٣—١٨٥٦) وحدث في تلك الاثناء في الحجاز مشاغبات واضطرابات كان سببها غارة عبد المطّلب بن غالب الاوّل يحترق الامارة الموروثة من اجدادهِ الى ان فاز بها مدّة ثلاث سنين وتوفّي سنة ١٨٥٦ . وناهيك قبائل العرب تثور على الاتراك لامتناع العثمانيين عن الحاد واتباع شيوخهم وحقوق مخالفتهم لآل عثمان

وكان الدولة كالعادة يلجأ الى تقسيم الكلمة واضعاف العناصر المخالفة

(١) تولّى الشريف احمد بعد ثلاثة امراء وهم الشريف حسين وهو جدّ الشريف حسين امير مكّة الحالي . ملك الحجاز ثمّ الشريف بركات وهو جدّ الاسرة المعروفة بالبركاتيّة . ثمّ الشريف احمد الذي ذهب الامراء الاوّل الآتون الى ابنهِ مندبل بن احمد بن ابي نمي

لأحكامها فكانت تعضد حيناً ابن عون وحيناً عبد المطلب على مقتضى الاحوال وكذا كان فعلها مع قبائل العرب في الحجاز .

وعيّنت الدولة بعد وفاة ابن عون ابنهُ عبدالله ليخلفهُ في امارة مكّة . وكان عبدالله سكن زمناً طويلاً في الاستانة وصار احد اعضاء الشورى فيها . فاثار انتخابهُ حقد بيت ذوي زيد وحزبهم وحدثت من جرّاء ذلك فتن في الحجاز لحق قسم من ولاياتها الاجانبَ في جدّة فنهبت مخازن الانكليز والفرنسويين وقُتل قنصلاهم ومنع الحجيج عن زيارة الحرمين . وفي السنة ١٨٦١ قام العربان في الحجاز على الدولة وتمادوا في غيّهم الى السنة ١٨٦٤ وبطل الحجّ وقطعت الطرقات ولم تهدأ الامور الّا بعد ان دفعت الحكومة لشيوخ القبائل ٢٥٠،٠٠٠ فرنك كانت تأخرت عن دفعها لهم

وبقي الشريف عبدالله بن محمّد بن عون في منصبهِ حتّى السنة ١٨٨٢ وفيها عُزل . قيل انهُ احسن السياسة في العرب ونفذت كلمتهُ بينهم

ثمّ عهدت الدولة امارة مكّة بعد الشريف عبدالله الى عون الرفيق باشا من ذوي عون فتولى من السنة ١٨٨٢ الى ١٩٠٥ وكان ابيّ الطباع شديد الشكيمة لا يستطيع احد مخالفتهُ وقد قام في وجه ولاة الاتراك فقُضي عليهم ان ينقادوا لاوامره . ولمّا تولّى احمد راتب باشا سنة ١٨٩٢ اتفق كلاهما وجريا كفرسي رهان في ظلم الرعايا واستئصال اموالهم واقتسام الارباح بينهما الى ان توفّي الشريف عون سنة ١٩٠٥ فخلفهُ في الامارة اخوهُ عبدالله لكنّهُ مات بغتة قبل ان يباشر بهمّات وظيفتهِ فأُسند منصب الامارة الى الشريف عليّ حيدر ابن اخي عون فدام حكمهُ ثلاث سنوات فلمّا أُعلن بالدستور سنة ١٩٠٨ انقلب من رتبتهِ مع راتب باشا الحاكم التركي في مكّة . وحكم الدستوريون على راتب باشا بدفع مبالغ ممّا اغتصبهُ من مال الاهلين . امّا الشريف عليّ حيدر فانهُ رحل الى مصر وبقي هناك

وقد عيّنت جمعيّة الاتحاد والترقي سنة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) لامارة مكّة الشريف حسين بن عليّ وهو الذي يعرف اليوم بملك الحجاز . خدم قبل الحرب الدولة التركيّة ولمّا حاصر الادريسيّ مع قبائل العرب في العسير حاميةَ الاتراك في أبها جمع الامير حسين سنة ١٣٢٩هـ خدمهُ ومماليكهُ وبعض المتطوّعين من اهل البادية وسار بصحبةِ جنود الدولة فأفرج عنهم كما سبق فعظمت بذلك منزلتهُ في اعين مواطنيهِ

وفي ايام الحرب الاخيرة عدل الشريف حسين عن تركيته الى الدول الائتلافية سنة ١٩١٦ فزحف مع فرقة من العرب على مكة . وفاجأ فيها الاتراك ودخلها في حزيران ثم استولى على جدة وفتح الطائف بمساعدة الجيوش المصرية في ٢٢ ايلول منها . اما المدينة فدافع عنها الجيوش العثمانية بشهامة ولم يسلمها الفريق فخر الدين الا بعد الهدنة في ١٠ ك ٢ سنة ١٩١٩

ولما دخل الشريف حسين الى مكة اقرت له الدول الاتحادية بسلطنة الحجاز . اما الاتراك فانهم دعوا علياً حيدراً وقلدوه امارة مكة ليناصب الشريف حسيناً لكنه بقي في الشام بجوار جمال باشا والعثمانيين ينتظر انتصارهم لينال ما وعد به من الامارة فخابت آماله ولم يزل الشريف حسين قابضاً على ازمة الامر معززاً مكرماً تعضده الدول الاتفاقية ولاسيما بريطانية العظمى

ولما دُحرت الجنود العثمانية وخرجت جزيرة العرب وبلاد الشام من حكم السلاطين بني عثمان نودي بالامير حسين ملكاً على الحجاز وعزّ مقام شريف مكة . وقد افاض السيد محمد رشيد رض في صفاته وشمائله في مجلة المنار (السنة العشرون ٣٥٥ — ٣٥٨) . ومما لا ينكر انه حاول توطيد ملكه وتوسيع نطاق دولته . ولعلّ ما نالهُ من الرفعة والشرف حمل به الى ان يمدّ سلطانهُ الى ما وراء الحجاز فاوقفهُ اصحاب تلك الاصقاع عند حدهِ لاسيما الامير ابن السعود(١ . وجلالة الملك حسين اولاد ذوو مقام رفيع وسجايا ممدوحة يقيمون الآن في جوارنا وهم الامراء فيصل وعبدالله وعليّ وزيد يسعون بتأليف مملكة عربية من سوريا وفلسطين والعراق والله اعلم بمصير الامور وهو يولي الملك من يشاء .

حجة نباه عن ابن الرشيد — طيّر البرق من لندن في تاريخ ٨ ايار الماضي انّ الامير سعود بن الرشيد امير حايل (راجع ما قلنا عنهُ في الصفحة ٢٨٧) قُتل في العشر الثالث من نيسان لاسباب عائلية وانّ القاتلة هم من عبيده وقد نُصب الامير عبدالله بن متعب اميراً مكانهُ وهو ابن جارية وعمرهُ ١٩ سنة وكان ابن رشيد حليفاً للاتراك في اثناء الحرب العمومية الاخيرة

---

١) جاء في الديلي تلغراف في تاريخ ١٩ آذار الاخير انّ فرقة من الوهابيين هاجمت رعايا الحجاز على مسافة عشرين ميلاً جنوبي شرقي الطائف فقتلوا عدداً وافراً من اهلها من قرى الملك حسين واحتلّوا تلك الانحاء الى ان ارسل الملك حسين جنداً فهزموهم بعد ان احرق الدور ضيعتين واخذوا اغنام الطائفة